

طوفان الأقصى

من الهجوم الفلسطيني إلى التحولات الإقليمية في قواعد الاشتباك

Al-Aqsa Flood from the Palestinian Attack to Regional Shifts in the Rules of Engagement

مخلوف وديع

Makhlouf wadie

مخبر الدراسات القانونية البيئية

Environmental legal studies laboratory

جامعة قالة – الجزائر-

University of Guelma -Algeria-

Makhlouf.wadie@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام

Submission date

12/10/2024

تاريخ القبول للنشر

Acceptance date

09/04/2025

تاريخ النشر

Publication date

31/05/2025

ملخص:

يُقصد بقواعد الاشتباك في العلوم العسكرية والدراسات الإستراتيجية القواعد التي تحكم التزام الطرف المقاتل وسائل وحيز استعمال القوة في ميدان الحرب أو المواجهة، وفق أبعاد قانونية، عسكرية، إستراتيجية وسياسية..

منذ بداية عملية طوفان الأقصى تشهد منطقة الشرق الأوسط عديد التحولات الإقليمية والدولية، فرد الفعل الصهيوني على العملية الفلسطينية وتبعاته لم يقتصر على قطاع غزة فقط بل تعدي للدول الإقليمية والمتاخمة لفلسطين المحتلة حيث تمثل ذلك في تحولات على الصعيد الاستراتيجي العسكري من خلال تنفيذ عمليات وهجمات تصاعدية متبادلة بين الأطراف المتصارعة في منطقة الشرق الأوسط والذي نتج عنه تغيير في قواعد الاشتباك بين الكيان الصهيوني وعديد الفواعل الإقليمية سواء اللادولانية كحزب الله في لبنان أو الفصائل المسلحة في العراق أو الدولانية كإيران واليمن.

الهجمات والاعتداءات الصهيونية في جنوب لبنان، اليمن وإيران والعراق بادعاء الدفاع عن النفس قابلها رد فعل من الأطراف المستهدفة أدى لهجمات غير مسبقة على الكيان الصهيوني كرسست تغيير في قواعد الاشتباك بين الأطراف المتصارعة في الشرق الأوسط، حيث لم يكن ذلك بمعزل عن الدعم الغربي للكيان الصهيوني على رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية.

من خلال روقتنا البحثية سنتطرق للقواعد الاشتباك قبل وبعد عملية طوفان الأقصى قصد معرفة تطورات والسعي لاستشراف البعد الإستراتيجي العسكري في منطقة الشرق الأوسط بين أطراف الصراع ومدى تأثير الداعمين لهم في مستقبل إعادة رسم منطقة الشرق الأوسط. **الكلمات المفتاحية:** فلسطين، طوفان الأقصى، قواعد الاشتباك، الشرق الأوسط.

Abstract:

Rules of engagement, which in military science and strategic studies mean the rules that govern the combatant's commitment to the means and scope of using force in the field of war or confrontation, according to legal, military, strategic and political dimensions

Since the beginning of the Al-Aqsa Flood Operation, the Middle East region has witnessed many regional and international transformations. The Zionist response to the Palestinian operation and its consequences was not limited to the Gaza Strip only, but rather an attack on the regional and neighboring countries of occupied Palestine, as this represented transformations at the military strategic level through the implementation of mutual escalating operations and attacks. Between the conflicting parties in the Middle East region, which resulted in a change in the rules of engagement between the Zionist entity and many regional actors, poor non-statism, such as Hezbollah in Lebanon, or the armed factions in Iraq, or statism, such as Iran and Yemen.

The Zionist attacks and assassinations in southern Lebanon, Yemen, Iran and Iraq under the pretext of self-defense were met with a reaction from the targeted parties that led to unprecedented attacks on the Zionist entity that established a change in the rules of engagement between the conflicting parties in the Middle East, as this was not isolated from Western support for the Zionist entity on the ground. Their head is the United States of America.

Through our research paper, we will discuss the rules of engagement before and after Operation Al-Aqsa Flood to know developments and seek to anticipate the military strategic dimension in the Middle East region between the parties to the conflict and the extent of the influence of their supporters in the future of redrawing the Middle East region.

Keywords: Palestine, Al-Aqsa flood, rules of engagement, the Middle East

مقدمة:

شكلت عملية طوفان الأقصى منعرجاً إستراتيجياً في الصراع العربي الصهيوني من ناحية تغيير في معطيات، عناصر وتفاعلات المواجهة بين الكيان الصهيوني وكتائب المقاومة في قطاع غزة، غير أن تأثير عملية طوفان الأقصى لم يقتصر على قطاع غزة فقط بل تعدى شمال فلسطين المحتلة للبنان، الضفة الغربية وحتى خارج حدود التماس مع فلسطين المحتلة إيران، العراق، اليمن، كل هذا في سياق تحولات إقليمية ودولية من غزو بري لغزة مروراً بقصف متبادل بين الكيان الصهيوني وعديد الفواعل الدولانية وغير الدولانية في الشرق الأوسط وصولاً لتعطيل الملاحة البحرية في أحد أهم منافذ التجارة العالمية مذيّق باب المندب، يُرافق التحولات الإقليمية والدولية المتعلقة باتساع رقعة المواجهة بين الكيان الصهيوني وباقي أطراف الصراع في الشرق الأوسط تغيير في قواعد الاشتباك بين الأطراف المتنازعة في منطقة الشرق الأوسط حيث تبرز الحروق الصهيونية مقابل الرد عليها مما يدفعنا لطرح الإشكالية التالية:

هل التحولات الإقليمية بعد عملية طوفان الأقصى تؤدي لانحياز قواعد الاشتباك واندلاع حرب شاملة في منطقة الشرق الأوسط أم تبقى في سياق الحروقات لبنودها وتفاهاتها؟
للإجابة على الإشكالية المطروحة في بحثنا طرحنا الفرضية التالية: كلما كان خرق لقواعد الاشتباك كلما زاد من إمكانية اندلاع حرب شاملة في منطقة الشرق الأوسط.

فيما يتعلق بالمنهج المتبع في التحليل فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي في دراسة الاتفاقيات الموقعة بين الكيان الصهيوني ومختلف الأطراف المواجهة له في منطقة الشرق الأوسط والمنهج التحليلي في تحليل الاحداث الواردة في دراستنا وصولاً لطرح ثلاثة سيناريوهات مستقبلية حيال الأوضاع في الشرق الأوسط والتي تمثل الهدف الرئيسي لمقالنا العلمي.

المبحث الأول:

البعد المفاهيمي لقواعد الاشتباك

يرجع تاريخ ظهور مصطلح قواعد الاشتباك إلى خمسينيات القرن الماضي في بدايات الحرب الباردة أين قدمت القيادة العليا للقوات البحرية الأمريكية مجموعة من المبادئ ذات الصلة التوجيهية لا الآمرة والتي تخص أي مواجهة مستقبلية ممكنة أو مفترضة حيث حددت شروط واليات استعمال القوة، غير أن التجسيد الفعلي في ربط تطبيق مصطلح قواعد الاشتباك في بيئة عسكرية كان خلال الحرب الكورية (1950-1953).¹ في هذا المبحث سنعالج مفهوم قواعد الاشتباك إضافة لأهداف قواعد الاشتباك.

المطلب الأول: مفهوم قواعد الاشتباك

تُعرف هيئة الأركان المشتركة الأمريكية قواعد الاشتباك على أنها "...توجيهات صادرة عن سلطة عسكرية مختصة تحدد الظروف والقيود التي بموجبها ستبدأ القوات الأمريكية و/أو تواصل الاشتباك القتالي مع القوات الأخرى التي تواجهها..." حيث تكون متعلقة بقانون الحرب الذي تم تعريفه مثل ذلك الجزء من القانون الدولي الذي ينظم سير الأعمال العدائية المسلحة².

"قواعد الاشتباك" هو مصطلح متداول في المجال العسكري ويدرس في العلوم العسكرية، وفقاً لتعريف الموسوعة البريطانية "بريتانیکا" التي تعرف قواعد الاشتباك على "...أنها الأوامر الصادرة عن سلطة عسكرية متخصصة في بلد ما والتي تحدد متى وأين وكيف ومن يمكنه استخدام القوة العسكرية، كما أن لها أثراً على الإجراءات التي قد يتخذها الجنود على سلطتهم الخاصة والتوجيهات التي قد يصدرها القائد، أي إنها توفر تفويضاً محدداً للقوات العسكرية للجوء إلى القوة..." وتعد "قواعد الاشتباك" "...جزءاً من الاعتراف العام بأن الإجراءات والمعايير ضرورية لسير وفعالية الحرب الحديثة لكنها لا تحدد عادة كيفية تحقيق النتيجة، بل تشير إلى الشروط التي لا تكون مقبولة في استعمال القوة العسكرية..."

في تعرف آخر لحلف شمال الأطلسي (ناتو)، قواعد الاشتباك هي "...إيعازات تصدر من جهة عسكرية مأذونة ترسم الظروف والحدود التي يسمح فيها للقوات المسلحة بالشروع في الاشتباك أو مواصلته. ولا توجد قواعد متوافق عليها دولياً، بل إن كل جيش في كل بلد يحدد "قواعد الاشتباك" الخاصة به، لكل معركة أو عملية عسكرية قد يقوم بها..."³.

في السياق ذاته يعرف أيضاً حلف الشمال الأطلسي قواعد الاشتباك "...بمثابة توجيه وضوابط تصدرها الجهات المسؤولة عن جيش معين، بهدف تحديد الشروط التي تسمح له بالتدخل، أو ما يسمى الشروع في الاشتباك، واستعمال القوة والسلاح واستمراره من عدمه..." و"...يشمل المفهوم الأطر أو المبادئ التوجيهية التي يجب أن تلتزم بها القوات العسكرية أو المتقاتلة عند أي معركة أو قتال في ما بينها، بهدف الحصول على شكل معين للمعركة ينجبها التصرفات والأفعال اللاإنسانية، وقد تطور المفهوم حتى صار يشمل المعارك السياسية والاقتصادية والتجارية..."⁴.

التعريف الإجرائي لقواعد الاشتباك

قواعد الاشتباك هي "...التوجيهات، الإصدارات، الأوامر المنبثقة من السلطة السياسية للسلطة العسكرية والتي تحدد نقاط، زمان ووسائل الصراع من ناحية الدخول فيه أو التعامل

ضمنه بناء على تقديرات متعلقة بالبعد القانوني الذي يشمل الاتفاقيات الدولية، أو البعد العقلاني في حساب الربح والخسارة في احتمال المواجهة أو حسب ميزان القوى بين الأطراف المتصارعة...".

المطلب الثاني: أهداف قواعد الاشتباك

تعتمد قواعد الاشتباك على إحراز عديد الأهداف والتي تتمثل فيما يلي:

- تأمين الجبهة الداخلية من خلال التركيز على مبدأ العقلانية في حساب معطيات الربح والخسارة في جعل العدو يفكر في تجنب الهجوم تحسبا لما ينتج عنه من خسائر في عملية الرد عليه، والذي يكسر عامل الردع في جعل خسائر الرد أولوية في التقدير على فوائد الهجوم.
- ارتباط قواعد الاشتباك بعامل المدى الزمني المرتبط بدوره بالتكلفة، حيث كلما زاد مدة العملية العسكرية زادت تكلفتها وهنا تبرز أهمية قواعد الاشتباك في التأثير في البعد الزمني للعمليات العسكرية من خلال تأثير تقديرات الربح والخسارة في سير العملية العسكرية بين الأطراف المتنازعة.

- بفعل مقومات التخطيط العسكري المتعلق بحساب الفعل ورد الفعل كأحد منطلقات قواعد الاشتباك إضافة للعامل المتعلق بالعقلانية في حساب الربح والخسارة فأحد أهم أهداف قواعد الاشتباك هي تقييد قدرات العدو الدفاعية والهجومية وفق حسابات ربح تفعيلها والخسائر المرتبطة في الرد عليها.

- تقييد العامل الجغرافي للعمليات العسكرية ضمن محددات قواعد الاشتباك والذي ينعكس على تحديد نطاق العمليات العسكرية مع ما يترافق معها من تحديد لانعكاسات ومدى الدمار والأضرار المترتبة عنها.

- خضوع قواعد الاشتباك للأوامر المنبثقة من الخطط العسكرية التي تُصممها القيادات العسكرية وفق الأهداف التي تحددها القيادة السياسية والتي ينعكس على سير العملية العسكرية في الميدان حيث لا يمكن للجندي أو القائد في مختلف القطع العسكرية مخالفتها حتى لا يقع تحت طائلة العقوبات فضلا عن تجنب أي إخلال ميداني بقواعد الاشتباك والذي يمكن أن يصل إلى تصعيد مبني على سوء تقدير بين الأطراف المتنازعة.⁵

المبحث الثاني:

البعد النظري لدراسة قواعد الاشتباك

يشكل البعد النظري منطلق لدراسة الظاهرة السياسية والتي تتمثل في الزاوية التي من خلالها يتم التعامل والبحث في الظاهرة محل الدراسة حيث ركزنا في دراستنا لتغير قواعد

الاشتباك في الشرق الأوسط على المنظور الليبرالي في نظرية الحرب العادلة، أيضا المنظور الواقعي في الاعتماد على نظرية الفعل العقلاني إضافة للنظرية توازن القوى، بينما في الشق المتعلق باستشراف تغيير قواعد الاشتباك في الشرق الأوسط فقد اعتمدنا على تقنية السيناريو في الدراسات المستقبلية حسب أنواعه الثلاثة.

المطلب الأول: الحرب العادلة.

يشكل البعد المتعلق بالأخلاق معطى أساسي في المنظور الليبرالي فيما يخص العمليات الحربية ما يغبر عنه ضمن نظرية ومصطلح الحرب العادلة التي تنظر في مدى عدالة الحروب من حيث شنها واندلاعها وما يلي من ناحية إدارتها ضمن منظومة أخلاقية تشكل في مجملها شروط العدالة.

تشكلت فكرة الحرب العادلة ضمن بعد وسطي بين مذهبين الأول مذهب المسالمة الذي يرفض فكرة الحرب والذي عرف رواج كبير بعد الحربين العالميتين ومذهب العنف الذي يبرر استخدام القوة باللجوء للحرب حيث برزت ضمن هذين المذهبين نظرية الحرب العادلة التي تبرر استخدام الحرب استنادا إلى أسس ومنطلقات أخلاقية فالعنف مشروع بافتراض عدالة الهدف المراد الوصول له باستعماله.

في سياق الحرب العادلة يرى توما الأكويني أن عناصر ومبادئ الحرب العادلة تتمثل في سبع عناصر نسردها فيما يلي:

- مدى عدالة سبب شن الحرب.
- استنفاد كل الوسائل السلمية قبل شن الحرب باعتبارها الملاذ والوسيلة الأخيرة في التعامل في أي نزاع.
- العقلانية: المنافع من وراء شن الحرب أكبر على نحو معقول من الخسائر.
- استشراف النصر قبل شن الحرب.
- مدى شرعية وعدالة وسائل الحرب المستخدمة منذ اندلاع الحرب وحتى نهايتها.
- احترام المواثيق الدولية فيما يخص حماية وعدم استهداف المدنيين في الأعمال الحربية.
- السلام العادل كنتيجة وهدف لنهاية الحرب⁶.

المطلب الثاني: الفعل العقلاني.

منطلق الفعل العقلاني مبني على أساس أن صانع القرار يقوم بالاختيار بين عدة بدائل قصد تحقيق هدف محدد حيث يعتمد بشكل أساسي على الحساب أو التكيف الذي يهدف إلى

تعظيم الفائدة في ظل القيود التي المرافقة للسعي للوصول إلى الأهداف ، فالفعل العقلاني هو اختيار البديل الأكثر فعالية، أي البديل الذي سيعطي أفضل نتيجة لتكلفة معينة أو تلك التي ستكون أقل تكلفة لنتيجة معينة،

يتشكل الفعل العقلاني من أربعة مفاهيم أساسية متعلقة بما يلي:

-الأهداف والغايات

المقصود بها وظيفة المنفعة للفاعل من ناحية مدى اختياره للبديل الأفضل الذي يحقق له أكبر قدر من الأهداف والغايات، وتسمى أيضًا وظيفة التفضيل فالعقلانية تمثل جانباً من حساب العواقب المحتملة التي قد تنجم عن أي إجراء من ناحية تحقيق الأهداف والغايات، كما تعبر عن مصالح الفاعل وكذلك القيم التي يشير إليها في وقت اتخاذ قراره،

- البدائل

عندما يوضع الفاعل العقلاني في موقف معين، عليه أن يختار بين عدة بدائل ومن المؤكد أن البديل يمكن أن يشمل أكثر من فعل واحد، ولكن لا بد من أن يكون البديل المختار دائماً دقيقاً بدرجة كافية حتى تتمكن من التمييز بينك وبين الآخرين.

-العواقب

ويرتبط كل بديل بمجموعة من العواقب، أو النتائج التي تنشأ عنه، يستوجب قدر من الدقة التي من المفترض أن يكون الفاعل قادراً على قياس عواقب كل من البدائل المختارة.

-الخيار

الاختيار العقلاني يتكون من اختيار البديل الذي يوفر لنا تحقيق الأهداف والمصلحة الأكثر منفعة والأقل تكلفة بالنسبة لصانع القرار⁷.

المطلب الثالث: نظرية توازن القوى.

يعتمد المنظور الواقعي على مفهوم القوة كأحد المنطلقات الأساسية في تفسيره للعلاقات الدولية من ناحية السعي لتعظيمها ضمن تحقيق أو الحفاظ على مصلحة الدولة من ثم يبرز مفهوم توازن القوى ضمن منطلق متعلق بالنظرية الواقعية في تفسيرها للتفاعل الدولي وفق مفهوم القوة حيث يحدده أحد منظري ورواد المنظور الواقعي "هانز مورنغتاو" ضمن عنصرين أساسيين: العنصر الأول مادي متعلق بافتراض وجود تعادل أو تساوي حسابي بين عناصر ومكونات القوة العسكرية التي تمتلكها الوحدات السياسية.

المفهوم الثاني: معطى إدراكي متعلق بوجود إدراك لدى الوحدات السياسية بأهمية وجود تعادل أو تساوي في مقدرات القوة العسكرية باعتباره الوسيلة المثلى للحفاظ على الأمن ولدى الدول الأخرى بأهمية استمراره، وإذا ما توافر العنصر المادي دون الإدراكي سيؤثر ذلك سلباً في الحفاظ على الأمن⁸.

ضمن المنظور الواقعي تتوافق قواعد الاشتباك مع تقاليد الحرب الغربية التي تم الاعتماد عليها وتطويرها في زمن الحرب الباردة لكن التدخلات في أوائل التسعينيات في الصومال وبوغوسلافيا أظهرت أن قواعد الاشتباك التي تطورت خلال الحرب الباردة لم تكن مناسبة لأنواع جديدة من الصراعات، فتطور أشكال الحرب الذي لاحظته في الواقع "كارل شيمت" و"ريموند آرون" منذ خمسينيات وستينيات القرن الماضي، كان السبب الرئيسي لهذا القصور⁹، فضلاً عن كون حروب اليوم ضمن حروب الجيل الرابع الاتماثلية لا يمكن الاعتماد فيها على قواعد اشتباك بين قوة عسكرية دولانية وأخرى غير دولانية فمقصد الأولى احتواء التهديد بينما الثانية هي تحقيق أكبر قدر من الخسائر نظراً لفارق القوة الميدانية والعملياتية، بينما حروب الجيل الخامس الهجينة فقواعد الاشتباك ضمنها تشكل بعداً غير ملموس كونها تتعلق بالأفكار وليس بالاعتماد على تحقيق دمار مادي باستعمال الأسلحة، تبقى فعالية وأهداف قواعد الاشتباك ضمن مناطق الصراع والنزاع التي تعرف تركز عسكري وليس استهداف فكري.

المطلب الرابع: تقنية السيناريو في الدراسات المستقبلية.

أصل كلمة سيناريو هي ايطالية والتي تم تصميمها ضمن صناعة السينما، حيث يعرف السيناريو على أنه "...وصف لوضع مستقبلي ممكن أو محتم أو مرغوب فيه مع توظيف الملامح أو المسارات التي تؤدي إلى هذا الوضع المستقبلي، ذلك انطلاقاً من الوقع الراهن أو وضع ابتدائي مفترض..."¹⁰

تعريف عملية بناء السيناريوهات "...هي العملية التي يتم من خلالها رسم الصور المستقبلية من الأحداث والتي تتظاهر في تكوينها الاتجاهات الواقعة في الحاضر والعوامل اللايقينية التي قد تعبر عن طبيعة هذه الاتجاهات في المستقبل..."

في سياق دراستنا لتغير قواعد الاشتباك سنعتمد على تقسيم ميشال جوديه الاقتصادي الفرنسي لسيناريوهات الثلاثة.

سيناريو مرجعي: تطور الظاهرة محل البحث الأكثر احتمالاً.

سيناريو متفائل: تطور ايجابي في الظاهرة محل البحث.

سيناريو متشائم: تطور سلمي في الظاهرة محل البحث.¹¹

المبحث الثالث:

تأصيل وتغير قواعد الاشتباك في الشرق الأوسط

تشكل قواعد الاشتباك في منطقة الشرق الأوسط منطلق لتحليل وقراءة البعد الاستراتيجي العسكري بين الأطراف المتنازعة المتمثلة في الكيان الصهيوني وباقي الفواعل سواء الدولاتية أو غير الدولاتية، في السياق ذاته فإن عملية طوفان الأقصى التي بدأت في السابع من أكتوبر 2023 شكلت تحول استراتيجي غير مسبوق والذي أدى إلى إحداث تغيرات جذرية في قواعد الاشتباك بين الأطراف المتصارعة والمتنازعة في الشرق الأوسط، فيما يلي قراءة في قواعد الاشتباك والتغير الذي طرأ عليها بعد عملية طوفان الأقصى بين الكيان الصهيوني ومختلف أطراف الصراع في الشرق الأوسط غزة، حزب الله، إيران ووكلاؤها (الحثيون، الفصائل العراقية) وسوريا.

المطلب الأول: قواعد الاشتباك بين قطاع غزة والكيان الصهيوني

يرجع الصراع الصهيوني مع قطاع غزة إلى حرب 1967 عندما احتل الكيان الصهيوني قطاع غزة الذي كان تحت إدارة مصر آنذاك، حيث تلا ذلك صراع مستمر مع الفلسطينيين في سياق انتشار وبناء المستوطنات الصهيونية في قطاع غزة حيث أدى هذا الصراع إلى الانتفاضة الفلسطينية الأولى في 1987 التي عرفت تأسيس حركة حماس، أنهت اتفاقية أوسلو الانتفاضة الفلسطينية غير أن بقاء الوعود والاتفاقات على الورق فقط دون تجسيدها على أرض الواقع أدى إلى زيادة المواجهات بين الفلسطينية والكيان الصهيوني حيث اندلعت انتفاضة ثانية في 2000، طيلة سنوات التواجد الصهيوني في قطاع غزة لم تهدأ المواجهات مع الفلسطينيين ما أدى بالكيان الصهيوني للانسحاب من قطاع غزة سنة 2005 بعد 40 سنة من الاحتلال الصهيوني للقطاع، في 2007 سيطرت حماس على قطاع غزة لتبدأ مواجهة مباشرة مع الكيان الصهيوني شهدت عديد المحطات والتي أدت إلى بداية صياغة قواعد اشتباك بين حركة حماس والكيان الصهيوني حيث شهدت في ديسمبر 2008 أول جولات المواجهة بينهم فيما سمي صهيونيا بـ "عملية الرصاص المصبوب" حيث انسحب الكيان الصهيوني في جانفي 2009 من قطاع غزة، تلتها "عملية عمود السحاب" في نوفمبر 2012 حيث تم اغتيال القائد في حماس "إسماعيل الجعبري" حيث استمرت المواجهات 8 أيام، 2014 "عملية الجرف الصامد" حيث شهدت حملة جوية في بدايتها، في مرحلة

ثانية كان هناك توغل بري، استمرت العملية أسبوعين سرعان ما انسحب الجيش الصهيوني جراء ضربات المقاومة الفلسطينية خصوصا ضد "لواء غولاني" الصهيوني في منطقة خان يونس. تلت هذه المواجهات بين الكيان الصهيوني والفلسطينيين في قطاع غزة عديد المواجهات لكنها لم تصل لمرحلة المواجهات الشاملة فلم تتعد القصف المتبادل بينهما ولم يتم الزج بقوات جوية وبرية كما حصل في المواجهات السابقة حتى السابع من أكتوبر 2023.¹²

في السابع من أكتوبر 2023 هاجم الذراع العسكري حركة حماس وباقي الفصائل المتواجدة في قطاع غزة مواقع للجيش الاحتلال الصهيوني في غلاف غزة حيث تمكنت من السيطرة على عديد المواقع العسكرية الصهيونية كما سيطرت أيضا كتائب المقاومة الفلسطينية على 20 مستوطنة صهيونية وقد أفرت عملية طوفان الأقصى حسب ما أعلنه الكيان الصهيوني على 1200 قتيل صهيوني عسكري ومدني و3000 جريح كما تم أسر مئات الصهاينة واصطحابهم لقطاع غزة، جاءت عملية طوفان الأقصى للرد على الانتهاكات والاعتداءات الصهيونية المستمرة خصوصا الاعتداءات على المسجد الأقصى من طرف المستوطنين بحماية من الجيش والأجهزة الأمنية الصهيونية، كما جاءت عملية طوفان في سياق حكومة يمين متطرف صهيونية قدمت تحشيدات عسكرية مقدرة بـ 30 كتيبة لاقتحام الضفة الغربية كل هذا في سياق رفض الكيان الصهيوني أي مفاوضات مع الفلسطينيين وسعي عديد من الدول العربية للتطبيع مع الاحتلال الصهيوني.

في سياق قواعد الاشتباك بين حماس والكيان الصهيوني شكلت عملية طوفان الأقصى تغير جذري في العمليات العسكرية على الأرض فمن خلال رد فعل الكيان الصهيوني أعلن "بن يمين نتنياهو" رئيس وزراء الكيان الصهيوني بعد مشاورات مع القيادة العسكرية حالة الحرب حيث تم استدعاء 300 ألف من قوات الاحتياط وقد تم تشكيل حكومة وحدة وطنية في الكيان الصهيوني في 11 أكتوبر 2023 ما يبرز الخطر الوجودي على الكيان الصهيوني حيث كان الاتفاق والإجماع الحكومي هو تغيير الإستراتيجية المتبعة في غزة ليس بمجرد قصفها كما سبق في 2008، 2012، 2014 بل العمل على القضاء نهائيا على حركة حماس في قطاع غزة فلا يمكن حسم المعركة من الجو كما حاول الكيان فعل ذلك من قبل بل يستوجب حرب برية واحتلال لقطاع غزة كتغير جذري في قواعد الاشتباك بين حماس والكيان الصهيوني وما يترتب عنه من طول مدة الحرب، استهداف للمدنيين وما ينتج عنه من تأثير سلبي على صورة الكيان الصهيوني في العالم من ناحية معطيات الليبرالية لحقوق الإنسان قانون دولي... الخ في السياق ذاته يبرز التركيز الصهيوني على شمال الكيان في محاولة ردع حزب الله لدخول في المواجهة من خلال إرسال

قوات لإنجاز المهمة ما أثر سلبيا في مدى جاهزية الجيش الصهيوني من ناحية التعبئة التي تأثرت بقسيم جهود الجيش بين الجنوب قطاع غزة والشمال حزب الله.¹³

شكل يوم 7 أكتوبر 2023 تاريخ بداية عملية طوفان الأقصى نقطة تحول مهمة في النضال الفلسطيني والتي شملت تغير جوهرى في فلسفة المقاومة منذ الانتفاضة الأولى (1987) في تعارض مع الاعتقادات الفلسطينية السابقة المتعلقة بإنهاء الاحتلال الصهيوني وقيام الدولة الفلسطينية على أساس اتفاقيات أوسلو فضلا عن إنهاء وهم الدعم العربي المطلق لمسعى استقلال فلسطين وتحررها من الصهاينة حيث أدرك قادة المقاومة أن التحرر هو اعتماد على النفس وتضحية في السبيل وليس انتظار تحرك من المجتمع الدولي أو العربي كما كان يُعتقد سابقا فاهم اختلاف بين الانتفاضات الفلسطينية وعملية طوفان الأقصى تمثلت في الطابع المؤسسي للفلسطينيين فحماس المسيطرة بمؤسساتها في قطاع غزة لم تكن بتلك الحضور قبل عملية طوفان الأقصى ما شكل تحولا كبيرا في قواعد الاشتباك بين حركة حماس والكيان الصهيوني فلم يعد القتال بين جيش وأفراد بل بين جيش احتلال وقوة منظمة مهيكل ذاتية التسليح ومتطورة في طرق المواجهة.¹⁴

في سياق تغير قواعد الاشتباك بين حركة حماس والكيان الصهيوني تبرز عديد المنطلقات المتعلقة بتفاعلات كلا الطرفين في الصراع بينهما من جهة خرق القانون الدولي المستمر من طرف الكيان الصهيوني في بناء المستوطنات غير الشرعية، بقاء اتفاقية أوسلو منذ سنة 1993 حبر على ورق بدون تطبيق بنودها على أرض الواقع والتي ترافق مساس بحقوق الإنسان الفلسطيني سواء في غزة والضفة الغربية.

في السياق المتعلق بتغير قواعد الاشتباك بين حماس والكيان يبرز مدى الاعتماد على البعد العقلاني المتعلق بحساب الخسارة والربح قبل عملية طوفان الأقصى في انسحاب الكيان الصهيوني من قطاع غزة سنة 2005 جراء الخسائر البشرية في المواجهة مع الفلسطينيين فضلا عن الخسائر المادية في السعي لتأمين المستوطنات الصهيونية في بيئة فلسطينية معادية، إضافة للانسحاب من قطاع غزة يبرز أيضا البعد العقلاني في المواجهات التي سبقت عملية طوفان الأقصى أين كانت اقتحامات وقصف محدودة في المكان والزمان بينما في رد الفعل الصهيوني على عملية طوفان الأقصى والتي كانت أوليتها رد الاعتبار التي شملت هiestريا الانتقام الصهيونية ضد الفلسطينيين بلا رقيب ولا حسيب والتي لم يكن فيها أي تحديد للمكان والزمان بل اعتمدت على سلاح الجو والبحر واقتحام شامل لقطاع غزة ومع استمرار المواجهات بين جيش الاحتلال الصهيوني وفصائل المقاومة الفلسطينية على رأسها كتاب الشهيد عز الدين القسام لم يعد هناك

اعتماد على العقلانية في التعامل الصهيوني بل أصبحت الحساب الشخصية لرئيس الوزراء الصهيوني هي المنطلق في شن الهجوم وتعطيل أي مسعى للوصول لوقف إطلاق النار، فقواعد الاشتباك بين الكيان الصهيوني وحركة حماس في غزة أضحت حسب اعتبارات سياسية، شخصية في تعارض كامل مع الحسابات العقلانية.

منذ الانتفاضة الأولى سنة 1987 شهد العمل المقاوم الفلسطيني نقلة نوعية في ميزان توازن القوى بين الكيان الصهيوني وفصائل المقاومة الفلسطينية فبعد ما كانت المواجهة بالحجارة اليوم هي بالصواريخ والتكتيكات العسكرية في نصب الكمائن غير أن ذلك لم يصل إلى مستوى توازن قوى بين حماس والكيان الصهيوني التي يحظى بدعم أمريكي غير مسبوق مقابل عزلة مفروضة بحصار مطبق على قطاع غزة منذ 16 سنة.

المطلب الثاني: قواعد الاشتباك بين حزب الله والكيان الصهيوني.

شهد الصراع بين حزب الله والكيان الصهيوني عديد المحطات منذ تأسيس الحزب بصفة رسمية في 1985 غير أن قواعد الاشتباك بين حزب الله والكيان الصهيوني في صيغتها الحالية تعود إلى سنة 2006 اثر نهاية الأعمال القتالية عقب حرب تموز التي دامت 33 يوم والتي تتمثل في معادلة "أن أي ردّ سيقابله رد مماثل"، بصرف النظر عن ما حصل من خروقات عدة منذ ذلك الحين، غير أنها لحد الآن لم تتطور إلى حرب شاملة بين الطرفين، وفي تفصيل قواعد الاشتباك فهي مؤسسة على بقاء العمليات العدائية والعسكرية محصورة في حدود الفعل وردّ الفعل بالحجم نفسه في سياق التزام الأطراف قدر الإمكان بالقرارات الدولية على رأسها القرار 1701 الذي تبناه مجلس الأمن الدولي بالإجماع عام 2006 الذي كان بمثابة نقطة إنهاء حرب تموز بين حزب الله والكيان الصهيوني والذي تضمن نشر الحكومة اللبنانية الجيش في جنوب لبنان جغرافيا نفوذ حزب الله ومنطقة التماس مع الكيان الصهيوني بالتعاون مع قوات الطوارئ الدولية التابعة للأمم المتحدة (اليونيفيل)، ضمن اعتماد تنسيق بين الطرفين، غير أن القرار 1701 لم يذكر بالتفصيل قواعد اشتباك بين الكيان الصهيوني وحزب الله. غير أنها كتفاهات غير مكتوبة محصورة بقصيف وردّ بالطريقة نفسها ضمن مناطق وحدود معينة قبل عملية طوفان الأقصى.

كمثال عن قواعد الاشتباك فيما يخص مزارع شبعا المحتلة التي تشهد عديد الأعمال العدائية بين حزب الله والكيان الصهيوني فطالما القصف داخل مزارع شبعا ولم يتطور لجهة حجمه وغزارة النيران، أو ينتقل من حرب مواقع ثابتة إلى عمليات عسكرية، يمكن اعتباره ضمن قواعد الاشتباك

بين حزب الله والكيان الصهيوني غير أن أي قصف على العمق الصهيوني من جانب الحزب، ولا على العمق اللبناني من جانب الكيان الصهيوني سيُعتبر خرق لقواعد الاشتباك.¹⁵ اندلعت المواجهات المباشرة بين حزب الله والكيان الصهيوني يوم 8 أكتوبر 2023 بعد بداية عملية طوفان الأقصى حيث تلا ذلك مواجهات بين الطرفين بشكل يومي بداية بالقصف المتبادل والتدرج في استهداف العمق اللبناني والصهيوني كما أدى ذلك إلى نزوح أكثر من 60 ألف صهيوني من شمال الكيان، وأجبر ما يقدر بنحو 94 ألف لبناني على الخروج من جنوب لبنان. وفي الوقت نفسه قُتل ما يقرب من 100 مدني لبناني وأكثر من 300 من مقاتلي حزب الله، بينما قُتل في الكيان الصهيوني 18 جنديًا و10 مدنيين، وفقًا لمصادر عسكرية صهيونية.

في متابعة للتصعيد الذي يتجاوز قواعد الاشتباك بين الطرفين فقد بدأ الكيان الصهيوني في استهداف خارج منطقة الحدود اللبنانية في منطقة الضاحية الجنوبية لبيروت أحد معقل حزب الله باغتيال القائد في كتائب عز الدين القسام "صالح العاروري" مع ستة من مرافقيه في 2 جانفي 2024 بعدها بدأ حزب الله بإدخال أسلحة لم تكن ضمن قواعد الاشتباك مع الكيان الصهيوني تمثلت في طائرات بدون طيار إضافة إلى صواريخ موجهة، وقد استمر التصعيد بين الطرفين حتى خرق الكيان الصهيوني قواعد الاشتباك مرة أخرى في 12 جويلية 2024 إثر اغتيال القائد العسكري في حزب الله "فؤاد شكر" حيث رد حزب الله بقصف غير مسبوق منذ 8 أكتوبر 2024 بالصواريخ والقذائف مما أدى إلى اندلاع حرائق في أجزاء مختلفة من شمال الكيان الصهيوني. ورد الجيش الصهيوني بعد ذلك بهجوم عنيف على حزب الله. وتُمثل جولة التصعيد الأخيرة بين الكيان الصهيوني وحزب الله خرق لقواعد الاشتباك من ناحية اتساع نطاق الهجمات بين الطرفين عما كان سائد في السابق.

بالتزامن مع الحروقات في قواعد الاشتباك بين حزب الله والكيان الصهيوني فقد رافقت عمليات الفعل ورد الفعل حرب كلامية بين الطرفين تضمنت تصريحات وتهديدات كخطاب الأممي العام لحزب الله "حسن نصر الله" في 19 جوان 2024 أين هدد أن الكيان الصهيوني سيكون عرضة للهجوم في أي نقطة من جغرافيته فيما هدد قبرص في حال أصبحت منطقة انطلاق للقصف على حزب الله في حال أي هجوم جوي صهيوني على لبنان، في المقابل رد جيش الاحتلال الصهيوني أن خططه الحربية ضد حزب الله اكتملت في حال نشوب رب شاملة مع لبنان إضافة للتصريحات والتهديدات، فالاستعمال المتزايد لوسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي شكلت نقطة في التهديد وإبراز القدرة الاستهداف لكلا الطرفين خارج حدود قواعد الاشتباك

الموروثة عن حرب تموز 2006، ففي 18 جوان 2024 نشر حزب الله على وسائل التواصل الاجتماعي لقطات بطائرة بدون طيار لميناء حيفا الصهيوني المحتل وغيره من البنية التحتية الحيوية للكيان الصهيوني حيث أظهرت هذه الصور إخفاق الكيان الصهيوني وقدره لحزب الله على التهرب من أنظمة المراقبة والدفاعات الجوية الصهيونية وتهديد المواقع الصهيونية. في أعقاب حادثة الطائرة بدون طيار التي قام بها حزب الله وفي سياق الرد الصهيوني زعمت صحيفة بريطانية نقلاً عن مصادر لم تسمها أن حزب الله كان يخزن أسلحة إيرانية في مطار بيروت الدولي، وهو ما تم تفسيره على أنه تهديد مستتر ضد حزب الله. وقد دحضت السلطات اللبنانية هذه التهمة على الفور كمن يقول تهديد حيفا قصف مطار بيروت الدولي في تعريف جديد لقواعد الاشتباك ليس على أساس الرد بالمثل، بل التهديد مقابل التهديد كمعطى جديد يبرز الفرق في قواعد الاشتباك بين الكيان الصهيوني وحزب الله في وقت السلم ووقت المواجهة في تضمن التهديد كتحديد لنقاط الحمراء التي لا يمكن لأحد تجاوزها.¹⁶

في سياق تغير قواعد الاشتباك بين حزب الله والكيان الصهيوني يبرز التمسك بالقرار 1701 الصادر عن الأمم المتحدة التي أنهى حرب 33 يوم والذي تم احترامه من الطرفين رغم عديد الخروقات الصهيونية والتي يتم الرد عليها من حزب الله إلا أن ذلك لم يصل إلى مواجهة مباشرة بين الطرفين، غير أن ما تم التصريح به من خسائر في الجانب الصهيوني فضلاً عن نزوح الصهاينة من مستوطنات الشمال جراء استهداف من حزب الله حالها حال نزوح اللبنانيين من جنوب البلد جراء الاستهدافات الصهيونية الدامية، فبالعد المتعلق بالحرب العادلة في إيجاد عناصر العدل في الهجوم الصهيوني على جنوب لبنان فضلاً عن ارتفاع الخروقات من الجانب الصهيوني في استهداف الضاحية الجنوب لبيروت والتي هي خارج نطاق قواعد الاشتباك فضلاً عن استهداف مناطق قريبة من تل أبيب في 25 أوت الماضي في رد حزب الله على مقتل القيادي فؤاد شكر، فالفعل ورد الفعل على اغتيال فؤاد شكر يشكل تغيير جذري في قواعد الاشتباك بين الكيان الصهيوني وحزب الله غير أن لحد كتابة هذه الكلمات لم تصل تأثير الخروقات لحرب شاملة بين الطرفين.

يشكل القرار 1701 بعد عقلا في لطرفي النزاع سواء حزب الله أو الكيان الصهيوني ذلك من خلال حسابات الربح والخسائر فمن ناحية حزب الله فعقيدة الضاحية الجنوبية التي اتبعتها جيش الاحتلال الصهيوني كان لها دمار كبير في البنية التحتية اللبنانية فضلاً عن الخسائر الكبيرة في الأرواح، من جهة الكيان الصهيوني قصف حزب الله كان له اثر بالغ الأهمية في الجبهة الداخلية

الصهيونية مع ما تبعها من أثار سلبية على الاقتصاد الصهيوني من ثم فالحسائر المتبادلة وقدرة كل طرف إلحاق الخسائر بالأخر بتفاوت يميل للكيان الصهيوني جراء الدعم العسكري الأمريكي أدى إلى الطرفين لإنهاء المواجهات المباشرة بينها ضمن قرار أممي رقم 1701 والذي يبقى منطلق تحديد قواعد الاشتباك بين الطرفين.

تشكل القدرة على الاستهداف وإلحاق الخسائر بين حزب الله والكيان الصهيوني منطلق توازن القوى في محاولة الطرفين الحفاظ على قواعد اشتباك وقد استمر ذلك حتى بعد عملية طوفان الأقصى وبداية المواجهة بين الطرفين في 8 أكتوبر 2023 رغم عديد الخروقات التي كان الكيان الصهيوني السباق لها والتي تلتها رد فعل من حزب الله أهمه هجمات 25 أوت 2024 والملاحظ أن لدعم الإيراني في تسليح حزب الله بناء على منطلقات عقائدية وإستراتيجية والذي له دور كبير في بناء توازن قوى على أساس قدرة في إلحاق الخسائر بين الطرفين في المقابل الدعم الأمريكي للكيان الصهيوني في الحفاظ على التفوق النوعي العسكري في منطقة الشرق الأوسط فقواعد الاشتباك بين حزب الله والكيان بقيت على ما هي عليه في النطاق المكاني وحسب نوعية الأسلحة رغم عديد الخروقات والتي لم تؤدي لصياغة قواعد اشتباك جديدة ولا إلى انهيار القديمة منها في اندلاع حرب شاملة بين الطرفين.

عنصر آخر متعلق بتكريس توازن القوى بين حزب الله والكيان الصهيوني في سياق السعي للحفاظ على قواعد الاشتباك الموروثة من القرار الأممي 1701 ومتعلق بالحرب الإعلامية بين الطرفين في إظهار في وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي صور لقواعد عسكرية ومناطق حيوية صهيونية واقعة خارج مناطق قواعد الاشتباك بين الطرفين ما يجسد إخفاق صهيوني في العامل مع المسيرات التي أخذت هذه الصور في مقابل تطور نوعي لحزب الله في ميدان الاعتماد واستعمال المسيرات التي وظيفتها لا تقتصر فقط على اخذ الصور بل أيضا في الانتفاض والهجوم على المواقع الصهيونية ما يكرس عنصر في توازن القوى المبني على القدرة التقنية على الاستهداف وإلحاق الخسائر من طرف حزب الله للكيان الصهيوني.

المطلب الثالث: قواعد الاشتباك بين إيران وكلاؤها والكيان الصهيوني

شكلت قواعد الاشتباك بين إيران والكيان الصهيوني منذ نجاح الثورة في إيران في 1979 تجنبا للمواجهة المباشرة بين الطرفين بالاعتماد من جهة إيران على عقيدة الصبر الاستراتيجي الذي يعني في مجمله الصبر على العدو وانتهاكاته بتجنب خوض مواجهات مباشرة كبرى وشاملة لاعتبارات

داخلية متعلقة بالتماسك سياسيا حيث تقوم إستراتيجية الصبر الإيراني مع الكيان الصهيوني على عديد المعطيات والتي تتمثل فيما يلي:

- 1-الرهان على عنصر الزمن من خلال مراكمة عناصر القوة حتى يتغير ميزان القوى.
- 2-المراهنة على استنزاف العدو من خلال الحرب الإعلامية، السياسية والمشاركة العسكرية ما يؤدي إلى تآكل القوة العسكرية الصهيونية مع مرور الزمن.
- 3-من وجهة النظر الإيرانية فإن الصبر الاستراتيجي لا يعني عدم القيام بأي عمل في مواجهة الكيان الصهيوني بل هو عمل كل ما يستوجب في الصراع مع الكيان الصهيوني باستثناء المواجهة المباشرة الشاملة حيث يرجع ذلك للحرب في زمن الإمبراطورية الرومانية في المواجهة بين الإمبراطور الروماني "فابسيوس ماكسيموس" والقائد "حبعل" حيث رأى الأول أن القوات الرومانية لا يمكنها مواجهة قوات حبعل مباشرة نظرا لميزان القوى الغير متكافئ فاعتمد على الصبر الاستراتيجي في استنزاف قوات حبعل بتعمد الإستراتيجية المباشرة حتى هزيمته بدون أي مواجهة مباشرة.¹⁷

فقبل وبعد 7 أكتوبر 2023 استخدمت إيران كل الوسائل المتعلقة بوكلائها وشركائها في جميع أنحاء منطقة الشرق الأوسط من الفصائل العراقية والحوثيين لتوسيع نفوذها الإقليمي وقدرتها على التعطيل فضلا عن الاستفادة من الصراع في غزة ضمن عديد جولات الصراع مع الكيان الصهيوني منذ 2007 سنة سيطرة حماس على القطاع، غير أن عملية طوفان الأقصى أدت لتفعيل دور وكلاء أو حلفاء إيران بصفة تصاعدية في المنطقة ضمن صراعاها مع الكيان الصهيوني وفق تحديد نطاق تماس جديدة لم تكن قبل الساع من أكتوبر 2023 فقد أثرت جماعة أنصار الله في اليمن التجارة العالمية في البحر الأحمر نتيجة هجماتها المتكررة على السفن التجارية العابرة لمذيق باب المندب، في حين حافظ حزب الله على سيطرته على الحدود الشمالية لكيان الصهيوني رغم ما نص عليه القرار 1701 الصادر عن الأمم المتحدة في نشر الجيش اللبناني في الجنوب معقل حزب الله كما ساعد تحسن علاقات إيران مع الدول العربية المجاورة الحريضة على تجنب الصراع على ضمان قبول نفوذ طهران الإقليمي.

بالرجوع لقواعد الاشتباك بين إيران والكيان الصهيوني فقد استغلت إيران الأحداث في الشرق الأوسط لتغيير قواعد الاشتباك لصالحها من خلال إتباع إستراتيجية الصبر الاستراتيجي في استنزاف الكيان الصهيوني الذي لا يواجه فقط أعداء خارجين لكن اعتماده على العنصرية والفوقية في تعامله في حرب غزة والذي يصب في ايجابية نتائج الإستراتيجية الإيرانية في المواجهة

نظرا لما طرأ على مكانة وصورة الكيان الصهيوني المهتزة دوليا نتيجة ما ترتكبه من فضائح وانتهاكات في حق الفلسطينيين إضافة لتورطها في مستنقع غزة، والإحراج الأخلاقي الذي يواجهه الغرب إزاء المذابح في غزة، وعدم فعالية الولايات المتحدة الظاهري في منع ذلك¹⁸.

شكل يوم الأول من أبريل 2024 تاريخ الهجوم الصهيوني على القنصلية الإيرانية في سوريا نقطة تحول في الإستراتيجية الإيرانية في صراعها مع الكيان الصهيوني حيث أعلنت إيران أنها انتقلت من «الصبر الاستراتيجي» إلى «إستراتيجية الردع ضد الردع»، حيث تهدف هذه الأخيرة للحد من احتكار الردع الذي يسطر عليه الكيان الصهيوني في المنطقة. وتعلن إيران أنه من الآن فصاعداً أي إجراء يقوم به الكيان الصهيوني ضد مصالح طهران مهما كان صغيراً سيلقى الرد المناسب¹⁹.

تلا الهجوم على القنصلية الإيرانية في سوريا رد انتقامي إيراني ضد الكيان الصهيوني في أول قصف مباشر بين الطرفين حيث اختارت إيران الرد بشكل مباشر وليس من خلال وكلاء، ومن دون إثارة صراع إقليمي وتم إخطار الولايات المتحدة ودول المنطقة بالهجوم قبل 72 ساعة من مواعده، ومنحت الطائرات الإيرانية بدون طيار بطيئة الحركة الكيان الوقت للاستعداد قبل وصولها إلى المجال الجوي الصهيوني، في حين رأى البعض الهجوم محرّجاً لأن عدداً قليلاً جداً من الطائرات بدون طيار أو الصواريخ وصلت إلى أهدافها، فسره آخرون على أنه جمد مدروس لإعادة بناء الردع، الأمر الذي كشف نقاط الضعف المحتملة للكيان الصهيوني واعتمادها على دعم حلفائها. وبغض النظر عن التفسير الصحيح فإن الأمر الواضح هو أن الهجوم كان مجرد قطرة في بحر مقارنة بما كان سيحدث لو أن شركاء إيران دخلوا المعركة أيضاً، ولو لم تكن إيران حذرة جداً في الإعلان عن نواياها لما قامت بمهاجمة الكيان الصهيوني بشكل مباشر، عبرت إيران أيضاً مرحلة الذي يفتح الباب أمام ضربات عسكرية مباشرة ضد إيران من قبل الكيان الصهيوني.

في سياق الهجوم الإيراني المباشر على الكيان الصهيوني رد هذا الأخير بسرعة بهجوم بطائرات بدون طيار وصواريخ على قاعدة أصفهان الجوية في إيران وقد أدى هذا التبادل إلى ظهور قواعد جديدة في الاشتباك كتغير جذري في حرب الظل التي يخوضها البلدان منذ أكثر من عقد والذي خرج للعلن من خلال تبادل الهجمات المباشرة بين الطرفين، حيث أن الصراع المتصاعد بين إيران والكيان الصهيوني سوف يشكل تحدي كبير للأمن الإقليمي ويحرك سياسات الشرق الأوسط وخطوط قواعد الاشتباك في المستقبل المنظور، فنظر كل طرف إلى الآخر باعتباره العدو اللدود الذي يجب عليه مواجهته سيتعدى ذلك السعي لهزيمته بالوسائل العسكرية. فإذا تركت المنافسة الخطيرة بينهما دون رادع، فإن الصراع المتصاعد بينهما ستؤدي إلى زعزعة

استقرار المنطقة، وقد تؤدي في النهاية إلى صراع يجز الولايات المتحدة إلى حرب مكلفة، ويقع على عاتق واشنطن الآن صياغة إستراتيجية دبلوماسية تهدئة القوى التصعيدية التي عجلت بحدوث مواجهة مباشرة بين إيران والكيان الصهيوني في أبريل 2024 ويمكن أن تفعل ذلك مرة أخرى.²⁰

في سياق تغيير قواعد الاشتباك يظهر البعد المتعلق بخرق حقوق الإنسان والمتعلق بفضائح وانتهاكات الكيان الصهيوني قبل وبعد عملية طوفان الأقصى في عديد مجالات العمليات العسكرية الصهيونية والتي رافقتها ويرافقها انتهاكات جسيمة للقانون الدولي بلا رقيب ولا حسيب من المجتمع الدولي وبدعم أمريكي متعلق بمنطلق الحق في الدفاع على النفس الذي يأخذ صهيونيا ذريعة لشن العمليات العسكرية ومن ثم التلاعب وجعل قواعد الاشتباك حسب المصلحة الإستراتيجية بل في كثير من الحالات حسب المصلحة الشخصية، الحزبية الداخلية الصهيونية أكثر منها حسب معطى تحقيق الأمن أو التعامل مع التهديدات الأمنية.

تظهر قبل عملية طوفان الأقصى عقيدة الصبر الاستراتيجي الإيرانية في تعاملها مع الكيان الصهيوني والتي تمثل معطى متعلق بالعقلانية في حساب أولوية الخسائر في مواجهة شاملة مع الكيان الصهيوني بدل المنافع في هكذا مواجهة، غير أن هذه العقيدة تغيرت ضمن تغير قواعد الاشتباك بعد عملية طوفان الأقصى بعد الهجوم على القنصلية الإيرانية في دمشق في الأول من أبريل 2024 الماضي والتي تلاها هجوم إيراني ورد صهيوني ضمن عقيدة إيرانية جديدة في قطيعة مع الصبر الاستراتيجي والمتعلقة بالردع مقابل الردع بمعنى الرد على أي هجوم صهيوني مباشرة في تغير جذري لقواعد الاشتباك بين الكيان الصهيوني وإيران.

في سياق التغير في قواعد الاشتباك بين إيران والكيان الصهيوني يظهر تدخل وكلاء أو حلفاء إيران في الاستهداف المباشر للكيان الصهيوني سواء من قبل الفصائل العراقية المرتبطة بإيران أو جماعة أنصار الله الحوثيون في اليمن حيث لا تكتفي هذه الأخير بمحاولة استهداف الكيان الصهيوني بل أيضا استهداف السفن التجارية التي تمر عبر مذيق باب المندب لتعطيل الملاحة الدولية كمعطى لا يتعلق فقط بقواعد الاشتباك بين إيران والكيان الصهيوني بل أيضا بين إيران والغرب كون الملاحة الدولية في باب المندب هي ذات طابع دولي ولا يقتصر فقط على الكيان الصهيوني في تغير آخر لقواعد الاشتباك بين إيران والكيان الصهيوني ليشمل إيران والغرب في السياق ذاته يبرز تغير الإستراتيجية الإيرانية من الصبر الإستراتيجية إلى الردع مقابل الردع بعد الهجوم على القنصلية الإيرانية في دمشق معطى أساسي متعلق بميزان القوى بين إيران

والكيان الصهيوني فالردع لم يعد يشمل فقط الكيان الصهيوني في عدم مهاجمة الداخل من قبل إيران بل أصبحت المواجهة بين الطرفين تشمل الهجوم المباشر على أراضي كلا الطرفين في تغيير جذري لقواعد الاشتباك بين إيران والكيان الصهيوني.

المطلب الرابع: قواعد الاشتباك بين سوريا والكيان الصهيوني

بعد الحروب العربية الصهيونية لـ 1948 و 1967 و 1973 شكلت قواعد الاشتباك بين سوريا والكيان الصهيوني أحد أهم مخرجات منطقة الشرق الأوسط خصوصا عند احتلال الكيان الصهيوني لهضبة الجولان السورية في 1967 حيث احتلت 1250 كيلومتر مربع من أصل 1900 كيلومتر مربع، غير أن البداية الفعلية لقواعد الاشتباك بين سوريا والكيان الصهيوني بدأت مع اتفاقية فك الارتباط بين الطرفين عقب حرب 1973.²¹

تشمل اتفاقية فك الارتباط بين الكيان الصهيوني وسوريا عديد البنود وبروتوكول إضافي حيث تنص البنود على احترام وقف إطلاق النار في البر، البحر والجو والامتناع عن الأعمال العسكرية بين الطرفين تطبيقاً لقرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ذي الرقم 338 المؤرخ في 22 أكتوبر 1973، تركز القوات السورية وجيش الاحتلال الصهيوني وفق مواقع محددة ضمن الاتفاقية إضافة لمناطق التماس بينهما والتي تتولى الأمم المتحدة مراقبة تطبيق بنود الاتفاقية بين الطرفين فضلا عن ملف الأسرى والجثث بين الطرفين الذين سيعادون لبلدانهم عقب التصديق على الاتفاقية مع ملاحظة واردة في نص الاتفاقية أنها ليسا اتفاقية سلام بل هي اتفاقية في طريق السلام، في البروتوكول الإضافي إنشاء قوة سلام تابعة للأمم المتحدة مهمتها مراقبة فصل قوات الطرفين كما اتفق عليه في بنود الاتفاقية.²²

مع بداية الألفية الثانية وفي ظل تواجد ما يسمى محور المقاومة في سوريا كتعبير عن محور الاتصال والعمل بين طهران وبيروت والذي تلعب فيه دمشق دور حلقة الوصل، تعددت الاستهدافات الأمريكية والصهيونية في كل جغرافيا سوريا من خلال عديد الغارات الجوية التي شملت عديد الأهداف في محاولة لمواجهة تركز إيران في سوريا وكسر قوافل إمدادات السلاح لحزب الله حسب الرواية الصهيونية.²³

رغم اتفاقية فك الارتباط وتواجد عديد من القوات الحليفة لسوريا في البلد من إيران مروراً بحزب الله وصولاً لمختلف الفصائل العراقية فضلا عن التواجد الروسي ومختلف منظومات الدفاع الجوي الروسية إلا أن الكيان الصهيوني نجح في فرض قواعد اشتباك خاصة به في سوريا حيث أن الطائرات الحربية الصهيونية تشن الهجمات والغارات الجوية تقريبا كل أسبوع في

استهداف لمناطق سورية حيوية تشمل مطار دمشق الدولي حيث ينتج عنه خسائر بشرية ومادية معتبرة وبدلاً من إسناد هذه العمليات إلى جبهة مجهولة، يعلن الكيان الصهيوني الآن بشكل مباشر مسؤوليتها عن هذه الهجمات في تحدٍ لدمشق، وبشكل أكثر تحديداً لطهران، كوسيلة للتعبير عن ذلك. وتجاهلها لموسكو ومن يقف خلفها، في تطور لقواعد الاشتباك بين سوريا تم إسقاط طائرة صهيونية في الداخل الصهيوني من ثم أصبح الكيان الصهيوني يتوخى الحذر في اختراق الأجواء السورية بطائراته ويكتفي بإطلاق الصواريخ من الأجواء اللبنانية. فلم يعد القصف يشمل فقط الطيران، بل أصبح القصف بواسطة الصواريخ نظر لردع الكيان الصهيوني من اختراق الأجواء السورية وقد استمرت قواعد الاشتباك في القصف الصهيوني لسوريا بعد عملية طوفان الأقصى غير أن وتيرتها انخفضت عما كانت عليه فطبيعة التهديد تغيرت من قصف الإمدادات في الدخول السوري إلى الفعل ورد الفعل في المواجهة المباشرة مع حزب الله في جنوب لبنان²⁴.

تشكل اتفاقية فك الارتباط بين سوريا والكيان الصهيوني لسنة 1973 منطلق لقواعد الاشتباك بين الطرفين حيث تنص في بنودها على مناطق تركز القواعد وعددها ورغم عديد الخروقات لهذه الاتفاقية إلا أنها لم تصل لحد الحرب الشاملة بين الطرفين.

في السياق ذاته تشكل الرواية الصهيونية المتعلقة بتهديد ما يسمى بمحور المقاومة المتمركز في سوريا حجة شن الغارات الجوية على سوريا والتي تشمل الإمدادات بالأسلحة لحزب الله اللبناني في قصف متزامن لمطار دمشق الدولي ومختلف طرق الإمداد المفترضة من إيران لحزب الله عبر سوريا فضلاً عن مهاجمة التواجد الإيراني في سوريا والذي عرف نقطة تحول في الهجوم الصهيوني على القنصلية الإيرانية في دمشق غير أن الهجمات الصهيونية بعد عملية طوفان الأقصى انخفضت وتيرتها على من قبل جراء السعي لاستهداف مناطق الهجوم على الكيان الصهيوني بدل مهاجمة الإمدادات العسكرية في سوريا فضلاً عن تغير الأولويات في حرب غزة والتهديد الإيراني المباشر على الكيان الصهيوني.

تشكل اتفاقية فك الارتباط بين سوريا والكيان الصهيوني لسنة 1973 منطلق عقلائي في التعامل وفق ضبط قواعد اشتباك بين الطرفين ضمن وثيقة أممية تبرز التوقع العسكري لكلا الطرفين ومن ثم بقيت هذه الاتفاقية سارية المفعول حتى بعد عملية طوفان الأقصى ضمن البعد العقلائي في حساب خسائر إلغائها ومنافع الاستمرار في تطبيق بنودها خصوصاً فيما يتعلق بالاحتلال الصهيوني لهضبة الجولان السورية أين يظهر البعد العقلائي أيضاً في تجنب المواجهة المباشرة بين سوريا والكيان الصهيوني نظراً لنتائج السلبية أكثر من الإيجابية في هكذا مواجهة،

فقواعد الاشتباك بين سوريا والكيان الصهيوني لم تتغير بشكل جذري بعد عملية طوفان الأقصى نظرا لتغير التهديد من سوريا لغزة وجنوب لبنان فضلا عن الاحترام المتبادل لبنود اتفاقية فك الارتباط رغم الاختراقات الصهيونية غير أنها لم تصل لمستوى المواجهة الشاملة بين الطرفين. فيما يخص ميزان القوى يبرز تعدد الهجمات الصهيونية على سوريا وعدم رد هذه الأخيرة كمعطى متعلق بقواعد الاشتباك بين الطرفين حيث يرجع ذلك للاختلال في ميزان القوى بين الطرفين لصالح الكيان الصهيوني رغم الوجود الروسي في سوريا مع ما يترافق معه من نشر لمنظومات دفاع جوي من المفروض أنها تواجه الاختراقات الجوية الصهيونية للكيان الصهيوني ما حدث في إسقاط طائرة صهيونية في 10 فيفري 2018 فلم يعد القصف الصهيوني يتم عبر الطائرات الحربية بل أصبح عبر الصواريخ في تغيير لقواعد الاشتباك ضمن الأسلحة المستعملة فاستثناء ذلك لم يطرأ أي تغير جوهري في المواجهة بين طرفي النزاع.

المبحث الرابع:

استشراف تغير قواعد الاشتباك في الشرق الأوسط

بناء على ما سبق في البحث في تأصيل وتغير قواعد الاشتباك بين مختلف الأطراف المتصارعة في منطقة الشرق الأوسط وسعيًا لمحاولة استشراف مستقبل التحولات الإقليمية والدولية في صراع الكيان الصهيوني مع مختلف الفواعل الدولانية وغير الدولانية ضمن معطى مدى احترام أو خرق قواعد الاشتباك يبرز لنا ثلاثة سيناريوهات مستقبلية نسردهم فيما يلي:

المطلب الأول: السيناريو المرجعي

الوضع الأكثر احتمالاً فما يخص قواعد الاشتباك والتغير المحتمل في منطقة الشرق الأوسط متعلق بالحدث المركزي في المنطقة وهو عملية طوفان الأقصى فالمسعى التفاوضي المتعلق بالبحث في إبرام اتفاقية وقف إطلاق النار أصبح أكثر احتمالاً من البعد الصراعى العسكري في استمرار الغزو البري للكيان الصهيوني لقطاع غزة، مع انتهاء العمليات الحربية في قطاع غزة فلاحتمال الوارد في الصراع بين الكيان الصهيوني وباقي الأطراف في الشرق الأوسط هو الرجوع لقواعد الاشتباك التي كانت سارية قبل عملية طوفان الأقصى لكن المتغير هو في الرد على الخروقات الصهيونية المستقبلية في قواعد الاشتباك بين أطراف منطقة الشرق الأوسط.

-في ملف قطاع غزة الرد على الخروقات الصهيونية سيضمن القصف بالصواريخ وجراً أكثر في استهداف الداخل الصهيوني غير أن التركيز مستقبلاً لن يكون في البعد الصراع بل في ترميم قطاع غزة في إعادة الإعمار وإعادة بناء الترسانة العسكرية لكثائب المقاومة في قطاع غزة.

-في ملف حزب الله الاحتمال الوارد هو بقاء القرار 1701 والتفاهات المتعلقة بقواعد الاشتباك الراجعة لتلك الفترة هي مرجعية في الصراع بين حزب الله والكيان الصهيوني، بينما التغير سيشمل ردة حزب الله على الخروقات الصهيونية التي ستشمل تغيير في الحيز المكاني والأسلحة المستعملة خصوصا الطائرات بدون طيار التي لم تكن ضمن معادلة 2006 في الحرب بين حزب الله والكيان الصهيوني.

- فيما يخص إيران ووكلائها فقواعد الاشتباك المتعلقة بالصبر الاستراتيجي ستكون السائدة في فترة ما وراء عملية طوفان الأقصى بينما في سياق الخروقات الصهيونية فمقيدة الردع مقابل الردع ستكون السائدة في مواجهة مباشرة بين الطرفين الإيراني والصهيوني والمحنة القادمة متعلقة بالرد على اغتيال إسماعيل هنية رئيس حركة حماس في طهران والتي ستشهد هجوم إيراني مباشر من الأراضي الإيرانية على الكيان الصهيوني ورد صهيوني لن يصل لمستوى الحرب الشاملة بين الطرفين.

-فيما يخص سوريا ستبقى قواعد الاشتباك الموروثة عن اتفاقية فك الارتباط لسنة 1973 هي السائد في العلاقة الصراعية بين الكيان الصهيوني وسوريا غير أن الخروقات الصهيونية في قصف الداخل السوري الاحتمال الأكبر سترتفع بهدف منع إعادة تسليح حزب الله حسب الرواية الصهيونية حيث سيزداد القصف الصهيوني للداخل السوري بوتيرة أكبر مما كان عليه قبل عملية طوفان الأقصى في ارتفاع للخروقات في الملف السوري على باقي الملفات لعدم وجود ردع سوري للكيان الصهيوني من الناحية العسكرية في الاعتراض على القصف أو في الرد عليه.

المطلب الثاني: سيناريو متفائل

يتوقع انهيار الكيان الصهيوني من الداخل بفعل التجاذبات السياسية والبعد الاقتصادي فيما يسمى بالتمدد الامبريالي المفرط لبول كندي في فكرة اضمحلال الدول، فالكيان الصهيوني وجيشه واقتصاده غير مهيا لجرب طويلة الأمد فمنذ إعلان تأسيسه خاض الكيان الصهيوني أطول حرب في لبنان دامت 33 يوم فالاستنزاف الاقتصادي جراء تعدد جهات المواجهة بعد عملية طوفان الأقصى بالنسبة للكيان الصهيوني يمكن أن يساهم في انهيار الكيان الصهيوني اقتصاديا ومن ثم يليه انهيار للكيان في حد ذاته غير أن بفعل الدعم الغربي والأمريكي للكيان الصهيوني اقتصاديا، عسكريا فهذا السيناريو مستبعد على أرض الواقع.

المطلب الثالث: سيناريو متشائم

متعلق بانهيار جميع قواعد الاشتباك في منطقة الشرق الأوسط والدخول في حرب شاملة بين الكيان الصهيوني وباقي الأطراف المعادية له حيث يمكن أن يتم استعمال الأسلحة غير التقليدية خصوصا إذا تم توجيه ضربات قاسمة له في سياق الرد على الأطراف يستعمل السلاح النووي كسابقة بعد استعماله في الحرب العالمية الثانية في اليابان، هكذا سيناريو بعيد عن الواقع بفعل حرص الأطراف الفاعلة في الصراع في الشرق الأوسط على السعي للوصول لصفقة وقف إطلاق النار بدل التصعيد في الصراع على رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية فكل يعرف ثمن الحرب الشاملة لذا الكل يريد تجنبها.

الخاتمة

هناك تغير في قواعد الاشتباك في منطقة الشرق الأوسط متعلق بعملية طوفان الأقصى من ناحية الخروقات الصهيونية والرد عليها لكن هذه الخروقات رغم تعددها لم تصل لحد الحرب الشاملة التي كل الأطراف لا تريدها نظرا لنتائجها المدمرة للكل، لكن مع إبرام وقف إطلاق النار في غزة فالاحتمال الوارد هو عودة قواعد الاشتباك لما كانت عليه قبل عملية طوفان الأقصى لكن المتغير هو سياق، مكان ووسائل الرد على الخروقات الصهيونية لقواعد الاشتباك، فالنقطة المشتركة بين الأطراف المتصارعة مع الكيان الصهيوني في منطقة الشرق الأوسط أن قواعد الاشتباك بينها كانت بعد مواجهة مباشرة وشاملة مع الكيان الصهيوني، سوريا حرب 1973، حزب الله حرب 2006، إيران الرد المباشر على الهجوم على قنصليتها في دمشق 2024، قطاع غزة الانتفاضة الأولى، الثانية وجولات المواجهات مع الكيان الصهيوني، في هذا السياق أي تغير جوهري في قواعد الاشتباك في منطقة الشرق الأوسط يستوجب حرب مباشرة وشاملة وهذا غير وارد على الأقل في المدى المنظور فالتوجه العام هو منع التصعيد وليس السعي للمواجهة الشاملة.

الهوامش:

1 قواعد الاشتباك...ما قبل الضغط عل الزناد في <https://urlr.me/XZ7Ht> (2024/08/28)

2 Major Herman C. Broadstone, Rules of Engagement in Military Operations Other Than War, From Beirut to Bosnia, SUBJECT AREA National Military Security,(1996),p4.

3 سوسن مهنّا، "قواعد الاشتباك" مت ظهر المفهوم دوليا وما هي ضوابطه ؟، في <https://urlr.me/HxJn9> (2024/08/28).

4 مرجع سابق

5 مرجع سابق

6 دور جمال، "نظرية الحرب العادلة Just War Theory - في

<https://political-encyclopedia.org/dictionary/>. (2024/09/02)

7 Graham T. Allison et Philip D. Zelikow, *L'essence de la décision. Le modèle de l'acteur Rationnel, Cultures & Conflits*, (36 | hiver 1999 - printemps 2000), p 6-8.

8 محمود محمود محمد الليثي، علياء. "الاتجاهات الحديثة في نظرية الحروب مع التطبيق على الحرب الأمريكية

علي أفغانستان 2001-2014م. "مجلة البحوث المالية والتجارية"، ع3-ج1 (2019)، ص 161

9 Roche, Jean-Jacques. « Règles d'engagement, culture stratégique occidentale et désignation de l'adversaire : entre culture de la peur et la peur de ses peurs ». In *La peur*, édité par Anne-Marie Dillens. Bruxelles: Presses universitaires Saint-Louis Bruxelles, 2006

10 فيروز مزباني، "الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية: السيناريو أداة الوحدة المنهجية"، مجلة

الباحث لدراسات الأكاديمية، (جوان 2006)، ص 4.

11 الشياء عبد السلام ابراهيم، "اعداد الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية"، مجلة كلية السياسة

والاقتصاد، ع 22، (أفريل 2024)، ص 22-23.

12 Rand corporation, *Lessons from Israel's war in Gaza*, 2017, pp 3-5.

13 المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وحدة الدراسات السياسية، عملية طوفان الأقصى

"انهيار الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه غزة"، أكتوبر 2023، ص 1-2.

14 Muhammed Huseyi Mercan, « Operation al-Aqsa flood: a Rupture in the history of Palestinian resistance and its implication », *Insight Turkey*, V 25, N 4, (December 2023), p 80.

15 ريتا جمال، "ما هي قواعد الاشتباك بين حزب الله وإسرائيل؟"، في <https://urlr.me/KSbH4>

(2024/09/03).

16 Mona Yacoubian, « Israel and Hezbollah change the rules, test redlines-will it lead to war? », *United State Institute of Peace*, (June 2024), p,p, 2-3.

17 إبراهيم علوش، "ما هو الصبر الاستراتيجي؟، وهل خرج إيران من عباءته فعلاً؟"، في

<https://urlr.me/ZvjHd>، (2024/09/03).

18 Maha Yahya, « the Israeli Iranian shadow was over » in <https://urlr.me/YWkJd>, (04/09/2024).

19 Abdelhak Bassou, « L'Iran face à Israël: de la patience stratégique à la stratégie de dissuasion? », *Policy Center for the new south*, (April 2024), p. 2.

20 Vali Nasr, « why Iran and Israel stepped back from the brink », *Foreign Affairs*, (May 2024), p,p, 2-3.

21 Pierre BERTHELOT, « Le Golan : statu quo ou restitution ? ». *Politique étrangère*, (Automne, 2010). p.649.

22 مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومركز الوثائق والدراسات، الوثائق الفلسطينية لعام 1974، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1976)، ص.ص، 180_181.

23 Khalil Nasralah, « strategic setbacks for US Israel as the resistance axis gains ground in Syria », *The Cradle*, (May 2024), p.p, 3-4.

24 Oraib Al-Rantawi, « The rules of engagements between Syria and Israel », *Memo Middel east Monitor*, (January 2019), p. 2.